أثر السنة النبوية في تعزيز الوعي الاجتماعي والقيم الإنسانية نحو بناء وعي اجتماعي ونفسي وفطري أصيل

The Impact of the Prophetic Sunnah on Promoting Social Awareness and Human Values Towards Building Authentic Social, Psychological, and Innate Awareness

الدكتور محمَّد فؤاد ضاهر
الأستاذ المشارك في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة الجنان، طرابلس- لبنان

(.Associate Professor Mohammad Fouad Daher (Ph.D
Faculty of Literature and Humanities, Jinan University, Tripoli, Lebanon

mohamad.daher@jinan.edu.lb
ORCID: 0009-0008-6873-1770

الملخَّص:

هدف البحثُ إلى بيان أثر السنَّة النبويَّة في تعزيز الوعي الاجتماعيِّ والقيم الإنسانيَّة، في عالَمٍ يشهدُ تصاعدَ النزاعات الثقافيَّة والاضطرابات القيميَّة، من خلال تحليل قيم التراحم والتكافل، ومقاصد الاعتدال، وضبط مفاهيم النوع والهُوِيَّة في ضوء الهدي النبويِّ. اعتمد البحث على المنهج الوصفيِّ- التحليليِّ المقارن بين الواقع المعاصر والمضامين النبويَّة، مسلِّطًا الضوء على استجابة السنَّة لمواجهة التطرُّف، والتحوُّل الجندريِّ، والشعور باللاجدوى. توصَّل البحث إلى أنَّ السنَّة النبويَّة تُقدِّم خطابًا إنسانيًّا شموليًّا قادرًا على الموازنة بين الثوابت الشرعيَّة واحترام الكرامة الإنسانيَّة.

الكلمات المفتاحيَّة:

السنَّة النبويَّة، الوعي الاجتماعيُّ، القيم الإنسانيَّة، التحدِّيات الاجتماعيَّة، التحدِّيات النفسيَّة، التحدِّيات المعاصرة، التربية النبويَّة.

Abstract:

The research aimed to demonstrate the impact of the Prophetic Sunnah in promoting social awareness and human values in a world witnessing escalating cultural conflicts and value-based disturbances. This research explores the values of compassion and solidarity, the objectives of moderation, and the understanding of gender and identity in light of Prophetic guidance. The research relied on a descriptive-analytical comparative approach between contemporary reality and Prophetic content, highlighting the Sunnah's response to confronting extremism, gender transformation, and the sense of futility. The research concluded that the Prophetic Sunnah offers a comprehensive human discourse capable of balancing religious principles with respect for human dignity.

Keywords:

Prophetic Sunnah, social awareness, human values, social challenges, psychological challenges, contemporary challenges, Prophetic education.

المقدِّمة

يُعدُّ البحثُ في السنَّة النبويَّة وأثرِها في تعزيز الوعي الاجتماعيِّ والالتزام بالقِيم الإنسانيَّة، من المواضيع التي تزداد أهمِّيَّتُها في زمننا المعاصر. في ظلِّ التحوُّلات الاجتماعيَّة السريعة، ومع ما يواجهُه المجتمعُ من تحدِّياتٍ اجتماعيَّة وأخلاقيَّة، يصبح البحثُ في هَدي النبيِّ ﷺ وسنَّته مصدرًا غنيًّا للدروس والتوجيهات، التي تساهم في تحقيق التوازن الاجتماعيِّ، وتعزيز القِيم الإنسانيَّة، وضبط العَلاقات الأُسريَّة، والإجابة عن التحدِّيات النفسيَّة والثقافيَّة.

تتجلَّى أهميَّةُ السنَّة على هذا الصعيد في كونها المصدرَ الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وهي تمثِّل تطبيقًا عمليًّا لأحكامه في الحياة اليوميَّة، من خلال عمل النبيِّ ﷺ على تحقيق الأهداف السامية للرسالة الإسلاميَّة؛ ببثِّ توجيهاته وإرشاداته التي لا تقتصر على العبادة فحسب، بل تشمل سلوكيَّاتٍ اجتماعيَّةً ونفسيَّةً وإنسانيَّةً تُسهم في بناء مجتمع عادل ومتماسك. وفي العالَم المعاصر، بدأ العديدُ من العلماء والمفكِّرين بإعادة دراسة السنَّة في سياقات جديدة، تتناسب مع التحدِّيات الاجتماعيَّة والنفسيَّة الحديثة، بهدف مقاربة فهم السنَّة في إطار متطوِّر يعكس احتياجات المجتمع المعاصر.

أ- إشكاليَّة البحث:

ترتبط إشكاليَّةُ البحث بمدى تأثير السنَّة النبويَّة في تعزيز الوعي الاجتماعيِّ والنفسيِّ في المجتمعات الحديثة، وتطبيق القِيم الإنسانيَّة التي وردت أيضًا في الأحاديث النبويَّة في سياقاتٍ اجتماعيَّة معاصرة، انطلاقًا من السؤال المركزيِّ: ما أثر السنَّة النبويَّة في تعزيز الوعي الاجتماعيِّ والقِيم الإنسانيَّة في سياق التحدِّيات الثقافيَّة المعاصرة؟ وتتفرَّع عنه الأسئلة الآتية:

أ- كيف تؤثِّر السنَّة النبويَّة في فهم الأفراد لدورهم الاجتماعيِّ وتعامُلهم مع الآخرين؟

أ- ما دورُ السنَّة النبويَّة في تعزيز القِيم الإنسانيَّة داخلَ المجتمع؟

أ- هل يُمكن للمنهج النبويِّ أن يُقدِّم حلولًا فعَّالة للتحدِّيات الاجتماعيَّة التي نواجهها اليوم؟

ب- فرضيَّات البحث:

افترض البحث على سؤالاته الإجابات الآتية:

ب- للسنَّة النبويَّة تأثيرٌ كبيرٌ في تعزيز الوعي الاجتماعيِّ لدى الأفراد، كونها مشروعًا حضاريًّا شاملاً، يعالجُ عُمقَ المشكلات المعاصرة، من الانحرافات السلوكيَّة إلى الأزمات النفسيَّة والاجتماعيَّة، من خلال التصحيح النفسيِّ والمعنويِّ، والتوجيه الاجتماعيِّ والإيمانيِّ.

ب- تُعزِّز السنَّة النبويَّة من الالتزام بالقيم الإنسانيَّة بين أفراد المجتمع، وترسِّخ مبدأ الوقاية والتربية، وتؤصِّل لفهم سليم للهُوِيَّة يُوازن بين الثبات والتنوُّع.

ب- يقدِّم المنهج النبويُّ نموذجًا قابلاً للتطبيق في كثيرٍ من القضايا الاجتماعيَّة الحديثة والقيميَّة، وعلاجًا

تربويًّا عميقًا لأزمات الإنسان النفسيَّة المعاصرة.

ت- أهداف البحث:

رمي البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

ت- دراسة تأثير السنَّة النبويَّة في تعزيز الوعي الاجتماعيِّ والنفسيِّ، وكيفيَّة تحسين العَلاقات الاجتماعيَّة، والتعاون بين أفراد المجتمع.

ت- استكشاف دور السنَّة النبويَّة في دعم القيم الإنسانيَّة، وبناء ثقافة الحوار، وتنمية التوازن النفسيِّ، ومراعاة الفروق الفرديَّة والنفسيَّة.

ت- رصد إمكانيَّة تطبيق مبادئ السنَّة النبويَّة في معالجة قضايا اجتماعيَّة معاصرة؛ كتعزيز ثقافة الاعتدال ومعالجة العنف والتطرُّف، وحماية النوع الاجتماعيُّ، والموقف من اضطراب الهُوِيَّة وعدم الرضا عن الجسد.

ث- أهمِّيَّة البحث:

تكمن أهمِّيَّةُ البحث في كونه يساعد في تسليط الضوء على دور السنَّة النبويَّة في تقديم حلولٍ اجتماعيَّة وإنسانيَّة قابِلة للتطبيق في العصر الحديث. كما يساهم في تعزيز الوعي بضرورة العودة إلى قِيم الإسلام الأصيلة التي تضمن العدالة الاجتماعيَّة وحقوقَ الإنسان. وفي وقتٍ تزدادُ فيه القضايا الاجتماعيَّةُ تعقيدًا؛ نعوِّل كثيرًا على السنَّة أن تقدِّمَ أُسُسًا قويمةً لعالَمٍ متعدِّد الثقافات.

ج- منهج البحث:

سار البحث في ضوء المنهج الوصفيِّ- التحليليِّ المقارن، من خلال تحليل النصوص النبويَّة ذات الصلة بالقِيم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، وتفسير كيفيَّة تطبيق هذه المبادئ في الواقع المعاصر، بمقاربة تجمع بين البُعد الاجتماعيِّ والنفسيِّ والقيميِّ.

ح- الدراسات السابقة ونقدها:

رغم وجود دراسات حول السيرة النبويَّة والسنَّة المطهَّرة، لجهة تعزيز القيم الاجتماعيَّة والاقتصاديّة، تبقى الحاجةُ العلميّة والحياتيَّة ماسّةً لمزيد من الطروحات والتحليلات، لاجتراح الحلول الناجعة لكلِّ طارئٍ مستجدٍّ.

سأكتفي بعرض ثلاث دراسات سابقة على الوجه الآتي:

ح- دور السيرة النبويَّة في تعزيز القيم الإسلاميَّة المتعلِّقة بالحقوق الاجتماعيَّة- دراسة تحليليَّة، إعداد: د. أحمد عبد الله صلاح وطالباته، بحث منشور في مجلَّة جامعة البيضاء، مج **٥**، ع **٥**، ديسمبر **٢٠٢٣**م، ص-ص **٢٢٥-٢٤٠**. هدف إلى بيان أهمِّيَّة السيرة ودورها في تعزيز القيم الإسلاميَّة، وبيان أهمِّيَّة القيم ودورها في المجتمع، وإظهار دور السيرة في تعزيز القيم المتعلِّقة بالواجبات الاجتماعيَّة.

ح- القيم الاجتماعيَّة من خلال السنَّة النبويَّة- الأدب من صحيح البخاريِّ أنموذجًا- دراسة تحليليَّة، إعداد:

د. حمد بن عبد الله الصقعبي، بحث منشور في مجلَّة كلِّيَّة الدراسات الإسلاميَّة والعربيَّة بدمنهور، مج **٥**، ع **٧**، ديسمبر **٢٠٢٠**م، ص-ص **٤٥٢-٥١٠**. هدف إلى الكشف عن القيم الاجتماعيَّة في كتاب الأدب من صحيح البخاريِّ، وبيان معانيها وخصائصها، وكيفيَّة اعتناء النبيِّ ﷺ بها قولًا وفعلاً وواقعًا.

ح- أثر السنَّة النبويَّة في إصلاح الواقع الاجتماعيِّ والاقتصاديِّ- نماذج عمليَّة تطبيقيَّة في السيرة النبويَّة، إعداد: د. إلياس دكار، بحث منشور في مجلَّة الصراط، مج **٢٢**، ع **٣**، ديسمبر **٢٠٢٠**م، ص-ص **٤٧-٧٢**. هدف إلى بيان الحلول النبويَّة لعلاج المشكلات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، وتقديم نماذج تطبيقيَّة للعمل بها في ظلِّ الأزمات الحالَّة.

إنَّ هذه الأبحاث من الأهمِّيَّة بمكان، وتتكامل مع بحثي هذا، وينفرد عنها بموضوعاته التي طرحها ولا سيما في ما يتعلَّق بالقضايا النفسية والجندرة واضطرابات الهُوِيَّة.

خ- خطَّة البحث:

انتظم البحثُ في مقدِّمة، تضمَّنت تعريفًا بالموضوع وأهمِّيَّته، وطرحَ الإشكاليَّة وتحديد الفرضيَّات، وبيان الأهداف، وتعيين المنهج المعتمَد، وعرض الدراسات السابقة ونقدها، والخطَّة المتَّبعة. ثمَّ تمهيد في مقاربات مفاهيميَّة لأهمِّ المصطلحات المتواردة على البحث. ثمَّ ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأوَّل بعنوان: الأبعاد الاجتماعيِّة والنفسيَّة للسنَّة النبويَّة. والمبحث الثَّاني بعنوان: أثر السنَّة النبويَّة في حماية المجتمعات من التحدِّيات الاجتماعيَّة والنفسيَّة. والمبحث الثَّالث بعنوان: تعزيز القيم الإنسانيَّة في عالَمٍ متعدِّد الثقافات. ثمَّ خاتمة تضمَّنت أهمَّ النتائج، وأبرزَ التوصيات، وبعضَ المقترَحات العلميَّة. وذُيِّل البحثُ بفهرس للمصادر والمراجع.

التمهيد: مقاربات مفاهيميَّة

تضمَّن التمهيدُ شرحًا لأهمِّ المصطلحات العلميَّة المتكرِّرة في البحث، والتي تمثِّل الأساسَ النظريَّ للموضوع، وهي كما يلي:

١- تعريف الوعي الاجتماعيِّ:

الوعي هو حالةٌ ذهنيَّةٌ تُمكِّن الإنسانَ من إدراك نفسه والعالَم من حوله، والتفاعل معه بشكلٍ صحيح[١]. والوعيُ الاجتماعيُّ (Social Consciousness) هو بناءٌ نفسيٌّ يتطوَّر عبر مراحل، حسب درجة نضج الأفراد وطبيعة السلوك المقبول اجتماعيًّا[٢]. ويُعَدُّ هذا الوعيُ نتاجَ حركةٍ تبادليَّةٍ، يندمج فيها الفرديُّ

(١) ينظر: المعوشرجي، فوزي محمد سعد الرجعان، تأثير تكنولوجيا المعلومات على تشكيل الوعي الاجتماعي عند الشباب الكويتي- تحليل سوسيولوجي (حوليات آداب عين شمس، مج **٤٢**، أكتوبر- ديسمبر، **٢٠١٤**م، ص-ص **٨١-٩٦**)، ص **٨٥**، بتصرُّف.

(٢) ينظر: مصطفى، شربال- أ.د. الطاهر، بلعيور، الوعي الاجتماعي- المفاهيم والاختلاف بين علم النفس وعلم الاجتماع (مجلة أبحاث نفسية وتربوية، مج **٩**، ع **٣**، جوان **٢٠١٨**م، ص-ص **٩٥-١١٧**)، ص **١٠١**، بتصرُّف.

بالاجتماعيِّ، والذاتيُّ بالموضوعيِّ، والإدراكُ بالتصوُّر. كما أنَّ الأبعادَ النفسيَّةَ تشكِّلُ المجالاتِ الأوَّليَّةَ للوعي[١].

أمَّا الوعيُ الدِّينيُّ فهو تنظيمٌ شاملٌ للعَلاقات الاجتماعيَّةِ من منطلَقٍ عقديٍّ وقيميٍّ، ممَّا يجعلُه قيمةً اجتماعيَّة تبلور أيديولوجيَّةً فكريَّةً، تتكاثف مع المجتمع، وتشكِّلُ رقيبًا أعلى يُعرَف بالضميرَ الجمعيَّ[٢].

٢- مفهوم القيم الإنسانيَّة في الإسلام:

القيم هي مقاييسُ يُحكَم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف، من حيث إيجابيَّتُها أو سلبيَّتُها، والرغبة أو النفور منها[٣]. وتتكوَّن القيمُ من معارف ومعلومات نظريَّة، إلى جانب انفعالات ومشاعر داخليَّة، وسلوك يظهر من خلالها[٤]. تُعبِّر القيمُ عن الوجود الحقيقيِّ للإنسان وتحقيق إنسانيَّته، من خلال مجموعةٍ من السلوكيَّات التي تحكمُ وجهةَ نظرِه وتصرُّفاتِه وآراءه، تُجاهَ الثقافات الإنسانيَّة والصراعات والمواقف والأحداث المختلفة في العالَم[٥]. تنضوي هذه القيم على السلام، والمساواة، والحرِّيَّة، والرفق بالضعفاء، ورعاية المسنِّين، ورفض القهر والظلم، ونبذ العنف والتفرقة والعنصريَّة، والرضا بقضاء الله وقدره.

وقدَّ عرَّف علي أبو العينين القيمَ الإنسانيَّة في الإسلام بأنَّها مجموعةٌ من المعايير والأحكام النابعةِ من تصوُّراتٍ أساسيَّةٍ عن الكون والإنسان والحياة والإله، كما صوَّرها الإسلامُ. وتتكوَّن هذه القيمُ لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل بين المواقف والخِبرات الحياتيَّة المختلفة، ممَّا يمكِّن الفردَ من اختيار أهدافه وتوجيهاته لحياة أفضل، تتوافق مع إمكاناته، وتتجسَّد في الاهتمامات والسلوك العمليِّ، بطريقة مباشرة وغير مباشرة[٦].

---

(١) ينظر: عبد المعطي، عبد الباسط، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ع ٤٤، ١٩٨١م)، بتصرُّف.

(٢) ينظر: مصطفى، شربال، المرجع السابق، ص ١٠٨، بتصرُّف.

(٣) ينظر: نورهان، منير حسين، القيم الاجتماعية والشباب (الإسكندرية: دار الفتح، ٢٠٠٨م)، ص ٣٢-٣٣، بتصرُّف.

(٤) ينظر: الجمل، علي أحمد، القيم ومناهج التاريخ الإسلامي- دراسة تربوية (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٢م)، ص ٢٣-٢٤، بتصرُّف.

(٥) ينظر: عقل، محمود عطا محمود حسين، القيم السلوكية لدى طلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج- دراسة نظرية وميدانية (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ١٠٢، بتصرُّف.

(٦) ينظر: أبو العينين، علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية- دراسة في طبيعة القيم ومصادرها الشاملة (المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم الحلبي، ط١، ١٩٨٨م)، ص ٣٤. وله الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام (ضمن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، جدة: دار الوسيلة، ط٤، ١٢ج)، ١/ ٧٩، بتصرُّف.

ترتكز تعاليمُ القيم في الشريعة حول الكلِّيَّات الخمس المعروفة. وقد اتَّبع النبيُّ ﷺ سياساتٍ متعدِّدة في تعليمها أصحابَه، من أهمِّها القدوةُ الحسنة، حيث قال: «إنَّما أنا لكم بمنزلةِ الوالد أعلِّمُكم»[١].

ويحثُّ النبيُّ ﷺ على التخلُّق بالأخلاق الحسنة بقوله: «اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ، وأتبِع السيِّئةَ الحَسنَةَ تَمحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ»[٢].

وتهدف القيم الإسلاميَّة إلى تحقيق فروض الإجلال لله تعالى، وإفراده بالوحدانيَّة والعبادة، وتهذيبِ السلوك البشريِّ، وضبطِ المسارِ الإنسانيِّ، وإتقانِ العملِ والإخلاصِ فيه، مع مراعاةِ التوازُنِ بين العبادة والصحَّةِ وحقوق الأُسرة والمجتمع، والجهاد في سبيل الله تعالى[٣].

ولا شكَّ أنَّ وضوحَ الهدفِ القِيميِّ يُعَدُّ ركيزةً أساسيَّةً في استشراف خطَّةٍ للنُّهوض بأيِّ نشاط إنسانيٍّ يتقصَّد الصالحَ العامَّ.

٣- تعريف التحدِّيات الاجتماعيَّة المعاصِرة:

تشير التحدِّياتُ الاجتماعيَّة المعاصِرة إلى مجموعةِ المشكلات التي تواجه المجتمعاتِ في العصر الحديث، والتي تؤثِّر في حياة الأفراد والمجتمع ككلٍّ. وتتجلَّى هذه التحدِّياتُ في قضايا متعدِّدةٍ، منها: ارتفاع معدَّلات البِطالة، والفقر، والتفاوت الاجتماعيُّ، وتراجع دور الأُسرة، وزيادة الاعتماد على وسائل التواصل الاجتماعيِّ في تشكيل العَلاقات الاجتماعيَّة، بالإضافة إلى قضايا النِّسويَّة، وتمكين المرأة بإطلاق حرِّيَّةٍ أوسعَ، وقضايا النوع الاجتماعيِّ وتغيير الجنس، والشذوذ الجنسيِّ، وغيرها.

ويأتي ارتباطُ المجتمع بالأفراد في مواجهة هذه التحدِّيات، لأنَّ المجتمع والفرد لا يمكن فصلُهما بحسب الرؤية الإسلاميَّة، إذ من مهامِّ الفرد المحافظةُ على المجتمع، وتحقيق التوازن بين المصالح والمنافع وتكثيرها، وبين درء المفاسد والمضارِّ وتقليلها. ويحصل التوفيق بينهما بالانتقال من النظرة المادِّيَّة السطحيَّة للحياة، إلى تفسيرٍ إسلاميٍّ شاملٍ للواقع والمتوقَّع، مرتبطٍ بالآخرة[٤].

---

(١) أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، ٤ج)، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، ١/ ٣، رقم: ٨، عن أبي هريرة.

(٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذي (تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ورفيقيه، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ٥ج)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، ٤/ ٣٥٥، رقم: ١٩٨٧، عن أبي ذر، وقال: «حسن صحيح».

(٣) عبد اللطيف، أحمد عبد الرحمن- شموط، أسامة- حسان، حسان محمد، كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي- الأصول والمبادئ (جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ٧٨٩.

(٤) ينظر: الصدر، محمد باقر (ت١٤٠٠هـ)، فلسفتنا (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ص ٨٥-٨٦، بتصرُّف.

٤- تعريف التحدِّيات النفسيَّة المعاصِرة:

تعني التحدِّياتُ النفسيَّة المعاصِرةُ الصعوباتِ النفسيَّةَ التي يواجهها الأفرادُ في التعامل مع ضغوط الحياة المختلفة والمتزايدة. وترتبط هذه التحدِّياتُ بالتغيُّرات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والأمنيَّة، إلى جانب التأثيرات السلبيَّةِ للتِّقنية ووسائل الإعلام.

وتؤثِّر هذه الضغوطاتُ في الصحَّة النفسيَّة والاجتماعيَّة للفرد، وقد تؤدِّي إلى ظهورِ مشكلاتٍ نفسيَّةٍ مثل: القلق، والاكتئاب، واضطرابات النوم، وغير ذلك.

المبحث الأوَّل: الأبعاد الاجتماعيَّة والنفسيَّة للسنَّة النبويَّة

أوَّلًا: البُعد الاجتماعيُّ للسنَّة النبويَّة:

تُعدُّ السنَّةُ النبويَّة مصدرًا أصيلاً في بناء المنظومة الاجتماعيَّة في الإسلام، بما تضمَّنته من أحاديثَ وسلوكيَّاتٍ نبويَّة نظَّمت العَلاقاتِ بين الأفراد، ورسَّخت قيم العدل والتعاون والرحمة، وقاوَمت مظاهرَ التفكُّك والعنف المجتمعيِّ.

يمكن استعراضُ بعض المبادئ الاجتماعيَّة التي تسعى السنَّةُ إلى ترسيها:

١- تعزيز قيم التراحم والتكافل:

قال النبيُّ ﷺ: «مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم، وتَراحُمِهم، وتعاطُفِهم، مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجَسَدِ بالسَّهرِ والحُمَّى»[(١)].

يعكس هذا الحديثُ رؤيةً متكامِلةً لبناء مجتمع متضامنٍ، تُترجَم فيه العَلاقاتُ الإنسانيَّة إلى روابطَ وجدانيّةٍ وسلوكيَّةٍ، تُحدُّ من الفردانيَّة المفرطة والنزعات الأنانيَّة (الأنا النرجسيَّة).

٢- ترسيخ العدالة الاجتماعيَّة:

قال النبيُّ ﷺ: «ألا لا فَضلَ لِعرَبيٍّ على عَجَميٍّ، ولا لِعَجميٍّ على عَرَبيٍّ، ولا أحمرَ على أسودَ، ولا أسودَ على أحمرَ، إلَّا بالتقوى»[(٢)].

يمثِّل هذا التوجيهُ النبويُّ أصلاً في نزع جذور التمييز داخلَ المجتمعات، ومصدرًا لإرساء مبادئ المساواة في الفُرص والحقوق، ونبذ التفرقة العنصريَّة والطبقيَّة.

---

(١) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ٥ج)، كتاب البر واصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ٤/ ١٩٩٩، رقم: ٢٥٨٦، عن النعمان بن بشير.

(٢) أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل (تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ٤٥ج)، ٣٨/ ٤٧٤، رقم: ٢٣٤٨٩، عن أبي نضرة، حدَّثه مَن سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق.

٣- بناء ثقافة الحوار:

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤].

لقد بثَّ النبيُّ ﷺ ثقافةَ الحوارِ في مجتمعه، ومارسه بين الأفراد والجماعات؛ فكان يصغي للمخالفين ويحاورهم بالحِكمة، امتثالًا لتوجيهات القرآن الكريم، ممَّا يقدِّم نموذجًا راقيًا لمعالجة الخلافات الاجتماعيَّة بوسائلَ وأساليبَ حضاريَّةٍ، في زمنٍ تشتدُّ فيه الحاجةُ إلى نزع فتيل الكراهية والاستقطاب.

٤- ضبط العَلاقات الأُسريَّة والاجتماعيَّة:

قال النبيُّ ﷺ: «خَيرُكُم خَيرُكُم لأهلِه، وأنا خَيرُكُم لأهلي»[(١)].

قدَّمت السنَّةُ النبويَّة توجيهاتٍ دقيقةً في إدارة الحياة الأُسريَّة، مثل: حقُّ الزوجة، والرحمة بالأبناء، وبِرُّ الوالدين، وغيرها من المبادئ التي تسهم في بناء أُسر مستقرَّة تُشكِّل نواةَ المجتمع.

ثانيًا: البُعد النفسيُّ للسنَّة النبويَّة:

أولت السنَّةُ النبويَّة اهتمامًا بالغًا بالبُعد النفسيِّ للإنسان، فأرشدت إلى وسائلِ علاجِ القلق والاكتئاب والضيق، وقدَّمت نماذجَ حيَّةً في تعزيز الصحَّة النفسيَّة للفرد والمجتمع.

١- تهذيب الانفعالات وتنمية التوازن النفسيِّ:

أرشد النبيُّ ﷺ الصحابةَ إلى ضبط غضبِهم وانفعالاتِهم، فقال لرجل طلب منه الوصيَّةَ: «لا تغضَب»، فردَّد مرارًا، قال: «لا تَغضَب»[(٢)]. يُبرز هذا التوجيهُ النبويُّ البُعدَ النفسيَّ العميقَ في إدارة المشاعر، وهو ما يتقاطع مع النظريَّات المعاصرة في العلاج السلوكيِّ المعرفيِّ. فكم من غضبة مستعجِلة مرتجَلة خرَّبت بيوتًا عامرة، وقطَّعت أواصرَ الرحم!

وفي توجيه النبيِّ ﷺ لنفر من أصحابه، جاؤوا إلى بيوت أزوجه يسألون عن عبادته. فلمَّا أُخبِروا كأنَّهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبيِّ ﷺ؟ قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر. قال أحدُهم: أمَّا أنا، فإنِّي أصلِّي اللَّيلَ أبدًا. وقال آخرُ: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساءَ، فلا أتزوَّجُ أبدًا. فجاء رسولُ

---

(١) الترمذي، السنن، كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ، ٥/٧٠٩، رقم: ٣٨٩٥، عن عائشة، وقال: «حسن صحيح».

(٢) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٩ج)، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٨/٢٨، رقم: ٦١١٦، عن أبي هريرة.

الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا! أما واللهِ، إنِّي لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنِّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوَّج النساءَ، فمن رغب عن سنَّتي فليس مني»(١).

٢- بثُّ الطمأنينة والسكينة:

بثُّ الطمأنينةِ والسكينة منهجٌ نبويٌّ وحاجة حياتيَّة. والسنَّةُ مليئةٌ بالأذكار والأدعية التي تغرسُ في النفس الطمأنينةَ، وتُخفِّف القلقَ. ومن الأدعية المشهورة: «اللَّهُمَّ، إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجزِ والكَسَلِ، والبُخلِ والجُبنِ، وضَلَعِ الدَّينِ(٢)، وغَلَبَةِ الرِّجالِ»(٣).

يمثِّل هذا الدعاءُ أداةً روحيَّةً تُوازي برامجَ الدعم النفسيِّ في المجتمعات الحديثة.

وكذا أمر النبيُّ ﷺ ببثِّ الأسباب المُعينة على استجلاب السكينة، فقال: «يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وسَكِّنوا ولا تُنَفِّروا»(٤). وحذَّر من ترويع المسلم، فقال: «لا يَحِلُّ لمسلمٍ أن يُروِّعَ مُسلمًا»(٥).

٣- بعث الأمل والتفاؤل:

رغم اشتداد الأزمات، كان النبيُّ ﷺ دائمَ التفاؤل، وورد في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠]، حين قالها لأبي بكر في الغار، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

وكان يُبشِّر ولا يُنفِّر، ويدعو إلى العمل والأمل في أحلك الظروف، ودونك خبرَ كسر الصخرة وسوق بُشريَّات النصر وفتح المدائن في غزوة الأحزاب(٦)، ويقول: «احرِص على ما يَنفَعُكَ، واستَعِن باللهِ ولا تَعجَز، وإن أصابَكَ شَيءٌ فلا تَقُل: لَو أنِّي فَعَلتُ كانَ كذا وكذا. ولَكِن قُل: قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فَعَلَ، فَإنَّ لَو تَفتَحُ عَمَلَ

---

(١) متفق عليه، عن أنس: البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٢/٧، رقم: ٥٠٦٣. مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه... ٢/١٠٢٠، رقم: ١٤١٠.

(٢) ضلع الدين: غلبته وشدَّته. ابن الأثير الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٥ج)، ٣/٩٦، مادة: ضلع.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الأطعمة، باب الحيس، ٧/٧٦، رقم: ٥٤٢٥. مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ٢/٩٩٣، رقم: ١٣٦٥، عن أنس بن مالك، والسياق للبخاري.

(٤) متفق عليه، عن أنس بن مالك: البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: «يسرِّوا ولا تعسرِّوا»، ٨/ ٣٠، رقم: ٦١٢٥. مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير، ٣/١٣٥٩، رقم: ١٧٣٤.

(٥) أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، ٤/٣٠١، رقم: ٥٠٠٤، عن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ.

(٦) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، المجتبى من السنن (تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٩ج)، كتاب الجهاد، باب غزوة الترك والحبشة، ٦/٤٣، رقم: ٣١٧٦، عن رجل من الصحابة.

الشيطانِ»[١].

ويرغِّب بالدُّعاء دائمًا، ويقول: «إنَّ رَبَّكُم حَيِيٌّ كَريمٌ، يَستَحيي مِن عَبدِه إذا رَفَعَ يَدَيه إلَيه، أن يَرُدَّهُما صِفرًا»[٢].

ويحثُّ على استشراف المستقبل رغم تجهُّم الحاضر، فيقول: «إن قامَت على أحدِكُم القيامَةُ، وفي يَدِه فَسيلَةٌ فليَغرِسها»[٣]، ما يشجِّع على العمل وعدم الاستسلام لليأس، ويحفِّز الطاقاتِ النفسيَّةَ والإيجابيَّة.

٤- مراعاة الفروق الفرديَّة والنفسيَّة:

بلغ من دقَّةِ هدي النبيِّ ﷺ أنَّه كان يعامِل كلَّ فردٍ حسب حالته النفسيَّة والروحيَّة، ويراعي ظروفه وأحوالَه. ومن الأمثلة البارزة ما يأتي:

موقفه مع الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا، فحاورَه بلُطفٍ وحكمةٍ حتى أقنعه.

موقفُه مع الأعرابيِّ الذي بال في المسجد، فقال الصحابةُ: مه، مه. فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تزرموه، دعوه». فتركوه حتى بال. ثمَّ إنَّه دعاه فقال له: «إنَّ هذه المساجدَ لا تصلُحُ لشَيءٍ مِن هذا البَولِ ولا القَذَرِ، إنَّما هي لِذِكرِ اللهِ والصلاةِ وقراءة القرآن». فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماءٍ فشنَّه[٤] عليه[٥].

ما يؤكِّدَ أفضليَّةَ هذا المنهج في التصدِّي لتحدِّيات مشابهة، وأنَّه صالحٌ في تعديل السلوك دون قسر أو عنف.

المبحث الثَّاني: أثر السنَّة النبويَّة في حماية المجتمعات من التحدِّيات الاجتماعيَّة والنفسيَّة

المعاصِرةُ تحدِّياتٍ متعاظمةً في مجالي الاجتماع والنفس، من تفكُّكٍ أُسريٍّ واغترابٍ فرديٍّ، إلى قلق وجوديٍّ واكتئاب جماعيٍّ. تأتي السنَّةُ النبويَّةُ، باعتبارها المصدرَ الثاني للتشريع، حاملةً في طيَّاتها مقوِّماتِ الحماية والعلاج، لا بوصفها مرجعًا تراثيًّا فحسب، بل كمنظومةٍ ديناميكيَّةٍ قابلةٍ للتفاعل والتفعيل والتجديد.

أوَّلًا: التحدِّيات الاجتماعيَّة والنفسيَّة في السياق المعاصر:

شهد الواقع المعاصر تناميًا لعدد من التحدِّيات الاجتماعيَّة والنفسيَّة التي باتت تهدِّد تماسكَ الفرد والمجتمع، ومن أبرز هذه التحدِّيات ما يأتي:

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ٤/٢٠٥٢، رقم: ٢٦٦٤، عن أبي هريرة.

(٢) أبو داود، السنن، كتاب قيام الليل، باب الدعاء، ٢/٧٨، رقم: ١٤٨٨، عن سلمان. وقال الترمذي: «حسن غريب». السنن، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، ٥/٥٥٦، رقم: ٣٥٥٦.

(٣) أحمد، المسند، ٢٠/٢٥١، رقم: ١٢٩٠٢، عن أنس بن مالك، بسند صحيح على شرط مسلم.

(٤) أي: صبَّ الماء عليه مفرَّقًا. ابن الأثير، النهاية، ٢/٥٠٧، مادة: شنن.

(٥) مسلم، الصحيح، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد... ١/٢٣٦، رقم ٢٨٥، عن: أنس بن مالك.

١- الاغتراب الاجتماعيُّ وتنامي مشاعر العزلة:

رَغم التقدُّم التكنولوجيِّ وتطوُّر وسائل الاتصال والمواصلات، إلَّا أنَّ المجتمعاتِ تعاني من تفكُّكِ الروابط، وتنامي مشاعر الوحدة والعزلة الاجتماعيَّة، نتيجةَ الانفصالِ التدريجيِّ عن القيم الإسلاميَّة والاجتماعيَّة الراسخة.

٢- غياب معنى الانتماء وأزمة الهُوِيَّة الجامعة:

أثَّرت العولمةُ الرقميَّةُ والثقافيَّة سلبًا في الأجيال الجديدة، فتراجعت منظومةُ المرجعيَّات القيميَّة والدينيَّة لدى فئات واسعة من الناس، ممَّا أفرز شعورًا بالتيه الوضياع، ومحو الخصوصيَّات الثقافيَّة والقيميَّة[١].

٣- تصاعُد القلق الوجوديِّ الناتج عن فقدان الغاية:

تشير تقاريرُ منظَّمة الصِّحَّة العالَميَّة (WHO, ٢٠٢٣)[٢] إلى تصاعد الاضطرابات النفسيَّة المتشكِّلة في تزايُد نِسب الاكتئاب والقلق، في معظم دول العالَم، ولا سيَّما في المجتمعات ذات النزعة المادِّيَّة المرتفعة، وبالأخصِّ لدى فئة الشباب.

تعود أسبابُ ارتفاع معدَّلات الانتحار والاكتئاب إلى تسارع الحياة، وفقدان المعنى (الشعور باللاجدوى)، والضغوط النفسيَّة والاقتصاديَّة والأمنيَّة.

٤- الهشاشة الأُسريَّة:

يُعتبَر ارتفاعُ معدَّلات الطلاق، وضعفُ الروابط الأُسريَّة، وتراجعُ مفهوم (الأُسرة الممتدَّة)، وانهيار القيم الوالِديَّة والولديَّة، من مهدِّدات الاستقرار الاجتماعيِّ المؤذنة باستفحال الخطر على البشرية جمعاء.

٥- الخطاب العُدوانيُّ والاستقطاب الرقميُّ:

بات الفضاءُ الرقميُّ بيئةً خِصبةً لخطاب الكراهية والازدراء والتهميش[٣]، ممَّا يدعو إلى التهشيم، ويُعزِّز الانقسامَ المجتمعيَّ. وظهر ذلك بجلاء في القنوات الفضائيَّة وعلى مواقع التواصل، حيث انتشرت ثقافةُ الإلغاء والإقصاء، ونبش خلافات الماضي، وتهجُّم كلِّ طرف على الآخَر دون قيود أو ضوابط.

استنادًا إلى ما سبق بيانُه، تجلَّى الحاجة الملحَّةُ إلى إعادة بناء مفهوم الهُوِيَّة والانتماء والروابط الاجتماعيَّة على أُسس متينة. وهنا تظهر السنَّة النبويَّةُ كمرجعيَّة تربويَّة وأخلاقيَّة، يمكن أن تسهم في ترميم النسيج الاجتماعيِّ والنفسيِّ.

ثانيًا: الاستجابة النبويَّة للتحدِّيات الاجتماعيَّة والنفسيَّة المعاصرة:

---

(١) الحق في الخصوصية في العصر الرقمي، ١ تشرين الثاني/ نوفمبر 2013: https://n9.cl/01zn03.

(٢) الاضطراب الاكتئابي (الاكتئاب)، ٣١ آذار/ مارس ٢٠٢٣: https://n9.cl/7y5uo.

(٣) ينظر: خطاب الكراهية ضد الأقليات في العراق في وسائل التواصل الاجتماعي، ١٥ أيار/ ماي ٢٠٢٣: https://n9.cl/xs1fv.

أمامَ هذا الواقع المستجدِّ، يتعيَّن على الباحث النظرُ في السنَّة النبويَّة، لاستلهام الحلول والمعالجات المُجدية. وقد تراءت المقترحات الآتية:

١- تجاوزُ التفكُّكِ والاندماجُ الاجتماعيُّ:

حثَّت السنَّةُ النبويَّةُ على مكافحة ظاهرة الشعور بالوحدة والانعزال المجتمعيِّ، في ضوء أحاديثَ تشجِّع على التعاون والتواصل بين الناس، والانخراطِ في أعمالٍ طوعيَّةٍ تنفع المجتمعَ، والمشاركةِ في العبادات الجماعيَّة وحضور الجمع والجماعات، عملاً آكِدًا بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وتأتي الأحاديث الحاضَّة على صلة الرحم والتزاور بين الأقارب والمعارف تصبُّ في مواجهة الاغتراب الاجتماعيِّ، لما يترتَّبُ عليها من الخير والبركة وتعميقِ العَلاقات الاجتماعيَّة والتعاون بين المسلمين، فضلاً عن الروايات الآمِرة ببذل المعروف وتعميم الصدقة التي تعزِّز الروحَ الاجتماعيَّةَ والتضامنيَّة، والمحافظةِ على الصلاة في جماعة التي تُظهر الأفرادَ في مظهر الوحدة والاجتماع والشعور بالانتماء، بالإضافة إلى السعي في الإصلاح بين الناس، والدعوةِ إلى كلِّ خير ومعروف ورشادٍ.

٢- إعادة بناء الهُوِيَّة والانتماء:

في ظلِّ ما يشهدُه العالمُ المعاصر من أزماتِ هُوِيَّةٍ وتفكُّكٍ في الانتماءات القيميَّة والدينيَّة[١]؛ تجلَّت الحاجةُ الملحَّة إلى إعادة بناء مفهوم الهُوِّيَّة والانتماء على أُسسٍ راسخة، تضمن التماسكَ الاجتماعيَّ والانتماء الحضاريَّ. تُعدُّ السنَّة النبويَّةُ مصدرًا أصيلاً في معالجة هذا التحدِّي، من خلال توجيهاتها العمليَّة التي تعيد تشكيلَ وعيِ الإنسان بانتمائه الدِّينيِّ والاجتماعيِّ، حيث تملك السنَّة النبويَّة المقدرةَ على تشكيل وعي الإنسان بانتمائه المتعدِّد إلى الدِّين والأُمَّة والأُسرة والقيم، وتوالف بين ذلك في البعد الثقافيِّ والأيديولوجيِّ.

وقد جاء الأمر الإلهيُّ ابتداءً بدعوة المجتمع إلى ما يكفل لهم الحياة الطيِّبَةَ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ثمَّ أرسى معاقدَ الأُخوَّة على الرابطة الإيمانيَّة الواسعة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، حيث تبرز أهمِّيَّةُ الهُوِيَّةِ الإسلاميَّة الجامعة، التي تتجاوز الفوارقَ العِرقيَّة والمكانيَّة، ما يؤسِّس لانتماءٍ عابر للحدود الضيِّقة، ويمنح الإنسان شعورًا بالارتباط بأُمَّةٍ ممتدَّةٍ في الزمكان، ما يترك شعورًا بالأمان والانتماء في مواجهة تيَّارات العولمة والذوبان الثقافيِّ.

ولقد ركَّزت السنَّةُ على تعزيز شعور الفرد بانتمائه للأُمَّة الإسلاميَّة من خلال جملة من الأحاديث التي تربط بين الإيمان والتآزر الاجتماعيِّ، من أبرزها قولُ النبيِّ ﷺ: «إنَّ المؤمِنَ للمؤمِنِ كالبُنيانِ يَشُدُّ بَعضُه بَعضًا»،

(١) ينظر: بخدة، براشد، أزمة الهوية في الوطن العربي (مجلة أبعاد، مج ١١، ع ١، ٤ آب ٢٠٢٤، ص-ص ٩٣-١٠٤)، ص ٩٥.

وشبَّك أصابعه[١]. يُقدِّم هذا الحديثُ تصوُّرًا دقيقًا عن وحدة الأُمَّة وترابط أفرادها؛ فكما أنَّ البنيان لا يستقيمُ إلَّا بتماسك أجزائه، فكذلك لا يمكن للأُمَّة أن تنهض إلَّا بتلاحم أفرادها على قاعدة الإيمان والقيم المشتركة.

وفي الوقت الحاضر، ولتحقيق هذا المعنى في المجتمعات، تتعيَّن إعادةُ إحياء ثقافة التآخي واختيار الرفيق الصالح، على موجب المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. وهذا يحثُّ على دراسة السيرة النبويَّة وإدماجها في التربية المعاصرة كمصدرٍ للهُوِيَّة الوجدانيَّة والإيمانيَّة، خاصَّةً عند الأطفال والناشئة، ما يعيد للأجيال المعاصرة إحساسَ الانتماء مقابل الاغتراب.

وبذلك، فإنَّ السنَّة توفِّر منظومةً متكامِلةً لإعادة بناء الهُوِيَّة والانتماء، من خلال تعزيز البُعد الإيمانيِّ في تشكيل هُوِيَّة الفرد، وربط الانتماء بالأخلاق العمليَّة لا بالشعارات والمثاليَّات، وتأكيد الأُخوَّة الإيمانيَّة كأساسٍ للتلاحم الاجتماعيِّ، والتحذير من السلوكيَّات التي تهدم الهُوِيَّة وتُخرِج الفردَ من روح الجماعة.

٣- علاج القَلَق الوجوديِّ وفقدان المعنى:

الإنسانُ بطبعِه يخاف من غده، وإذا تقدَّم به العمرُ عاش بماضيه. بينما النبيُّ ﷺ كان يرغِّب بالحياة الطيِّبة إلى جانب العمل الجادِّ لملاقاة الله تعالى وهو راضٍ، ولا يكون هذا إلَّا للمؤمن الذي علم ما ينتظره من موعودات الله، فيقول: «مَن أحَبَّ لِقاءَ اللهِ أحَبَّ اللهُ لقاءَه. ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقاءَه». قالت عائشة: إنَّا لَنكرَهُ المَوتَ! قال: «لَيسَ ذاكَ، ولكنَّ المؤمنَ إذا حَضَرَه المَوتُ بُشِّرَ برِضوانِ اللهِ وكرامَتِه، فلَيسَ شَيءٌ أحَبَّ إليه مِمَّا أمامَه، فأحَبَّ لِقاءَ اللهِ وأحَبَّ اللهُ لقاءَه. وإنَّ الكافرَ إذا حُضِرَ؛ بُشِّرَ بعذابِ اللهِ وعُقوبَتِه، فليسَ شَيءٌ أكرَه إليه مِمَّا أمامَه، كَرِهَ لقاءَ اللهِ وكَرِهَ اللهُ لقاءَه»[٢].

ومتى أدرك المؤمن هذا المعنى سعى إليه في الدُّنيا، بغرس طيِّبٍ من الإيمان والعمل الصالح، وفق شرع الله تعالى ومرضاته، ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]. وفي ضوء هذا التوجيه الربَّانيِّ يقول النبيُّ ﷺ: «كُلُّ سُلامى مِن الناسِ عليه صَدقةٌ، كُلُّ يَومٍ تَطلُعُ فيه الشمسُ، يَعدلُ بَينَ الاثنينِ صَدقةٌ، ويُعينُ الرجلَ على دابَّتِه فيَحمِلُ عليها، أو يَرفَعُ عليها مَتاعَه صَدقةٌ، والكَلِمةُ الطيِّبَةُ صَدقةٌ، وكُلُّ خُطوَةٍ يخطوها إلى الصلاةِ صَدقةٌ، ويُميطُ الأذى عن الطريقِ صَدقةٌ»[٣].

---

(١) متفق عليه، عن أبي موسى الأشعري: البخاري، الصحيح، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ١٠٣/١، رقم: ٤٨١. مسلم، الصحيح، كتاب البر واصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ١٩٩٩/٤، رقم: ٢٥٨٥.

(٢) متفق عليه، عن عبادة بن الصامت وعائشة: البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ١٠٦/٨، رقم: ٦٥٠٧. مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، ٢٠٦٥/٤، رقم: ٢٦٨٣-٢٦٨٤.

(٣) متفق عليه، عن أبي هريرة: البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسِّير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، ٥٦/٤، رقم:

ومن بالغ مقصد السنَّة النبويَّة في تعزيز المعنى الوجوديِّ للإنسان، إحياءُ المسؤوليَّة الجماعيَّة وإشاعة ثقافة التكافل الاجتماعيِّ، كما في قوله ﷺ: «مَن نفَّسَ عن مؤمنٍ كُربةً مِن كُرَبِ الدُّنيا؛ نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً من كُربِ يَومِ القيامةِ. ومَن يسَّر على مُعسرٍ؛ يسَّر اللهُ عليه في الدُّنيا والآخرة. ومَن سترَ مُسلِمًا؛ سترَه اللهُ في الدُّنيا والآخرة. واللهُ في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيه»[1]. وهذا يُعزِّز فِكرةَ التراحم العمليِّ، لا الشفقةَ المجرَّدة.

فإذا امتثل الإنسانُ هذه المباني، وعمل على إيجادها في واقعه، فقد وقع أجرُه على ربِّه، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ساعتئذٍ يستطيع أن يمثِّل نموذجًا في التوازن بين الدُّنيا والآخرة، لأنَّه فهم أنَّ الحديثَ عن الموت والبعث والحساب ليس تخويفًا سلبيًّا، بل هو إعادةُ ضبطِ بوصلة الحياة على معنًى أسمَى، بحسب ما يدلُّ عليه قولُه ﷺ: «الدُّنيا سِجنُ المؤمنِ، وجَنَّةُ الكافِرِ»[2]، وقوله: «أكثِروا ذِكرَ هاذِمِ (وفي رواية: هادِمِ) اللَّذَّاتِ»، يعني: الموت[3]. ويمكن فهمُ أبعاد هذا المعنى في موقف معاذ بن جبل حين حضره الموتُ إذ قال: «مرحبًا بالموت مرحبًا، زائرًا مغيَّبًا حبيبًا، جاء على فاقة. اللَّهُمَّ، إنِّي قد كنتُ أخافُك، فأنا اليومَ أرجوكَ. اللَّهُمَّ، إن كنتَ تعلمُ أنِّي لم أكن أحبَّ الدُّنيا وطولَ البقاء فيها لكري الأنهار، ولا لغرس الشجر. ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكب عند حلق الذكر»[4].

ما يستدعي إعادةَ ربطِ الناس برسالة وجودهم، وانتخابَ المرغِّبات والمبشِّراتِ الحاملةِ على الإقدام، لا عبر الترهيب المفرط. ويتأتَّى ذلك من خلال إدخال هذه الأحاديث وما يحفُّ في مجالها، من الأدعية والأوراد ذات المعاني الإشراقيَّة والمقاصد المتجلِّية، في جلسات العلاج النفسيِّ الإسلاميِّ، والوعي الوجوديِّ.

من جهة ثانية، الاكتئابُ اليومَ لا يُفهَم فقط كحالةٍ طِبِّيَّةٍ، بل كتعبيرٍ عن فقدان الغاية والمعنى. وقد عالجت السنَّةُ النبويَّة ذلك عبر ربط الإنسان بربِّه من حيث دعاؤه ومناجاته، وتفويضُ أمره كلِّه إليه. ثمَّ غرس الأمل بقوله ﷺ: «واعلم أنَّ في الصبرِ على ما تَكرهُ خيرًا كثيرًا، وأنَّ النصرَ معَ الصبرِ، وأنَّ الفَرجَ معَ الكَربِ، وأنَّ معَ

٢٩٨٩. مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ٢/٦٩٩، رقم: ١٠٠٩.

(١) مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٤/٢٠٧٤، رقم: ٢٦٩٩، عن أبي هريرة.

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والقدر، ٤/٢٢٧٢، رقم: ٢٩٥٦، عن أبي هريرة.

(٣) الترمذي، السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، ٤/٥٥٣، رقم: ٢٣٠٧. ابن ماجه القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ٢ج)، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ٢/١٤٢٢، رقم: ٤٢٥٨، عن أبي هريرة، وقال الترمذي: «حسن غريب».

(٤) أحمد بن حنبل، الزهد (وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص١٤٨، رقم: ١٠١١.

العُسرِ يُسرًا»[١]. ما يعمل على تعزيز معنى القيمة الذاتيَّة: «إنَّ اللهَ لا يَنظرُ إلى صُوَرِكم وأموالِكم، ولكن ينظرُ إلى قُلوبِكم وأعمالِكم»[٢].

٤- مواجهة تفكُّك الأُسرة بالنموذج النبويِّ التشارُكيِّ:

تمتاز الحياةُ الزوجيَّة بالاستقرار والسكينة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. والنبيُّ ﷺ إلى جانب كونه رسولًا خاتمًا وقائدًا سياسيًّا وعسكريًّا، فإنَّه زوجٌ رحيمٌ، وأبٌ متفاعلٌ، وراعٍ لأُسرةٍ، بتوازن نادرٍ، و«كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذانَ خرج»[٣]. وهو بذلك أسوةٌ للمؤمنين بموجب قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. وبهذه الأسوة الحسنة قال لأصحابه: «إنَّما أنا لكم بمنزلةِ الوالد أعلِّمُكم»[٤]، حتى يستنُّوا به في كل شيء.

من ذلك ما جاء عن أمِّ المؤمنين عائشة في وصفه: «ما ضربَ رسولُ اللهِ ﷺ شيئًا قَطُّ بيدِه، ولا امرأةً، ولا خادمًا، إلَّا أن يجاهدَ في سبيلِ اللهِ. وما نيلَ منه شيءٌ قطُّ فينتقمَ من صاحبِه، إلَّا أن يُنتهَكَ شيءٌ من محارم الله، فينتقمَ للهِ»[٥].

ومن كريم سجاياه ﷺ وبالغ أدبه أنَّه كان يحترم رأيَ نسائه ويستشيرهنَّ في بعض أموره، ويقبل ما يراه حقًّا. ودونكَ استشارتَه السيدةَ أُمَّ سلمةَ في التحلُّل من الحديبية، فعمل برأيها، وعمل به أصحابُه[٦].

لذا حريٌّ بالمرجعيَّات المسؤولة والمتخصِّصة أن تولي جانبَ الإرشاد الأُسريِّ الرعايةَ الكافية، من تقديم دورات توجيهيَّة وإرشاديَّة، من وحي الهدي النبويِّ، في توازنه المعجز في أدواره كزوج، وأب، وقائد. ممَّا يساعد على تقوية الروابط الأُسريَّة، وبناء أُسرٍ أكثرَ تماسكًا في عصر الفردانيَّة.

٥- إصلاح الخطاب الرقميِّ عبر القيم النبويَّة:

تأسف الحالةُ الثقافيَّةُ والتربويَّةُ في البلاد العربيَّة من وصول الخطاب الرقميِّ، الذي يشاهدُه الملايينُ من الناس، إلى مستوًى متراجعٍ جدًّا، ومعبَّأ بشُحنات سالبة نحو (إشعار الحرائق)[٧]، حتى إذا احتدم النقاشُ

(١) أحمد، المسند، ٥/ ١٩، رقم: ٢٨٠٣، عن ابن عباس.

(٢) مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ٤/ ١٩٨٧، رقم: ٢٥٦٤، عن أبي هريرة.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب النفقات، باب خدمة الرجل في أهله، ٧/ ٦٥، رقم: ٥٣٦٣، عن عائشة.

(٤) مضى تخريجه.

(٥) مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله... ٤/ ١٨١٤، رقم: ٢٣٢٨.

(٦) البخاري، الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ٣/ ١٩٣، رقم: ٢٧٣١.

(٧) ينظر: جناحي، نجوى عبد اللطيف، برامج حوارية أم مصارعة ديوك؟ ١٢ أيار ٢٠١٨: https://:cl.n٩/fcotw. خزعل، عبد النبي، السجالات السياسية في برامج الحوار السياسي في الفضائيات العراقية وانعكاساتها على المجتمع (مجلة

تراشقوا بما هو أمامَهم، ولربَّما تناولوا بعضُهم بعضًا بمقابضهم[١]! فيما يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥]، ويقول النبيُّ ﷺ: «ليسَ المؤمنُ بالطعَّانِ ولا اللَّعَّانِ ولا الفاحشِ ولا البذيءِ»[٢].

فواجبُ الدُّعاةِ والأكاديميين والتربويين، مراعاةُ هذا الجانب، وتقصِّي الحقيقة، والتثبُّت في الخطاب، وتحرِّي الوحدة، والحذر من الفُرقة والانقسام، وتحاشي كلِّ ما مِن شأنه أن يفتك بعَضُد الأُمَّة، ولا سيَّما اللِّسانُ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ العبدَ لَيتكلَّمُ بالكلمةِ مِن رضوانِ اللهِ، لا يُلقي لها بالًا، يَرفعُه اللهُ بها دَرجاتٍ. وإنَّ العبدَ لَيتكلَّمُ بالكَلمةِ مِن سَخطِ اللهِ، لا يُلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنَّمَ»[٣].

لذا يصحُّ هذا التوجيهُ الرسوليُّ اليومَ أن يكون ميثاقًا أخلاقيًّا رقميًّا في فضاء الإنترنت. وأن تُبنى على أساسه حملاتُ توعية، تستلهم القيمَ النبويَّة في بيئة التواصل الاجتماعيِّ، لترويج التسامح والصدق الرقميِّ، والحدِّ من التنمُّر الإلكترونيِّ.

٦- بناء المناعة النفسيَّة عبر منظومة الذِّكر والرضا:

لذكر الله تعالى والتبتُّل إليه والخشوع بين يديه والإقبال عليه، آثارٌ في النفس والجسم عجيبة، تبني المناعة النفسيَّة (Psychological Immunity) لدى الإنسان على مواجهة المصاعب والأزمات والكروب، وتزيد في القوَّة الجسميَّة، دلَّ عليها قولُه تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وأكَّدتها السنَّة النبويَّةُ وسيرةُ أهل الله الذين جمعوا بين المجاهدات الروحيَّة والتقليديَّة، كما في حادثة عليِّ بن أبي طالب والزهراء حين أبدلهما رسولُ الله ﷺ بالذِّكر خادمًا، فلم يتركه عليٌّ في أشدِّ الأوقات وأصعبها، وفيه أنَّ فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها... فجاء النبيُّ ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبيُّ ﷺ: «على مكانكما». فقعد بيننا حتى وجدتُ بردَ قدمِه على صدري، ثمَّ قال: «ألا

الفارابي للعلوم الإنسانية، ع ٢، ٢٠٢٣، ص-ص ٧٠-٩٤)، ص ٨٧-٩٠.

(١) شهد استديو «صار الوقت» عراكاً بأيدي بين رئيس حزب التوحيد العربي وئام وهاب والصحافي سيمون أبو فاضل: https://cl.n٩/xdgtr.

عرض وقائع الإشكال خلال عرض الحلقة الأولى من برنامج «بالمباشر» الذي قدمه الإعلامي رواد ضاهر على أوتيفي، بين رئيس جمعية اقرأ بلال دقماق والعضو السابق في مجلس الشعب السوري أحمد شلاش على خلفية مقاربة الملف السوري: https://cl.n٩/xoaww.

تضارب بين مصطفى علوش وفايز شكر في برنامج بموضوعية: https://cl.n٩/wmf٩.

(٢) الترمذي، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، ٤/ ٣٥٠، رقم: ١٩٧٧، عن عبد الله بن مسعود. وقال: «حسن غريب».

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ٨/ ١٠١، رقم: ٦٤٧٨، عن أبي هريرة.

أعلِّمُكما خيرًا ممَّا سألتما. إذا أخذتما مضاجعَكما، أن تُكبِّرا اللهَ أربعًا وثلاثين، وتُسبِّحاه ثلاثًا وثلاثين، وتحمداه ثلاثًا وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم». قال عليٌّ: «ما تركتُه منذ سمعتُه من النبيِّ ﷺ. قيل له: ولا ليلةَ صفِّين؟ قال: «ولا ليلةَ صفِّين»[١]. ومن لطيف ما ترجم له البخاري بـ«باب الدليل على أنَّ الخمس لنوائب رسول الله ﷺ والمساكين، وإيثار النبيِّ ﷺ أهلَ الصُّفَّة والأرامل، حين سألته فاطمةُ، وشكت إليه الطحنَ والرَّحى: أن يخدمها من السبي، فوكلها إلى الله»، بهدف تخفيف المشقَّة التي تقع على عليٍّ وفاطمةَ بسبب العمل الدؤوب.

وقد ضمَّت السنَّةُ كنوزًا من الأدعية التي تعزِّز المرونة النفسيَّة، وتساعد في الصدمات، واللهُ تعالى يقول: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]. لذا عاد أبو بكر الصديق ﷺ إلى النبيِّ ﷺ يسأله تعويذةً تحفظه صبح مساء، فعلَّمه أن يقول: «اللَّهُمَّ، عالمَ الغيب والشهادة، فاطرَ السموات والأرض، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَه، أشهدُ أن لا إلهَ إلَّا أنتَ، أعوذُ بكَ من شرِّ نفسي ومن شرِّ الشيطانِ وشِركِه. قال: قله إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضجعَك»[٢]. ويؤكِّد عَلاقةَ المؤمنِ القويَّةَ بالله تعالى قولُ النبيِّ ﷺ في عظيم الاحتساب: «عَجبًا لأمرِ المؤمن، إنَّ أمرَه كلَّه خيرٌ، وليسَ ذاكَ لأحدٍ إلَّا للمؤمنِ، إن أصابَته سرَّاءُ شكرَ، فكانَ خيرًا له، وإن أصابَته ضرَّاءُ صبرَ، فكانَ خيرًا له»[٣].

لذا يأتي توظيفُ هذه الأدعية في برامج الدعم النفسيِّ والروحيِّ الحديث (Spiritual Psychology)، بمصادر إيمانية، خيرَ علاجٍ فعَّالٍ للتوتُّر وتخفيفِ الضغط النفسيِّ.

خلاصة القول: تبرز السنَّةُ النبويَّة بصيغها التربويَّة والاجتماعيَّة والتشريعيَّة نموذجًا فعّالًا للحماية من التفكُّك والقلق وفقدان الهُوِيَّة، حيث تمزج بين تعزيز الانتماء، وتسكين القلق، وإحياء الروح الجماعيَّة. وهي في ذلك لا تُقدِّمُ حلولًا مثاليَّةً مجرَّدةً، بل نظامًا واقعيًّا قابلاً للتفعيل في بيئات اليوم المتأزِّمة.

المبحث الثَّالث: تعزيز القيم الإنسانيَّة في عالَمٍ متعدِّد الثقافات

يشهد العالَمُ المعاصِرُ انفتاحًا واسعًا بين الثقافات، ترافقُه تحدِّياتٌ من نوع آخَر، أبرزُها النزاعاتُ الفكريَّة، وصدام الأهداف، والتشكيكُ في المبادئ الأخلاقيَّة.

في خِضمِّ هذا الواقع، تبرز السنَّةُ النبويَّةُ بوصفها منبعًا أصيلاً للقيم الإنسانيَّة الجامعة، التي تخاطب الإنسانَ بما هو إنسان، بصرف النظر عن دينه أو لونه أو جنسه أو عِرقه، في واحدة من الروائع الرسوليَّة: «لا تَحاسَدوا، ولا تَناجَشوا، ولا تَباغَضوا، ولا تَدابَروا، ولا يَبع بَعضُكم على بَيعِ بَعضٍ، وكونوا، عِبادَ اللهِ، إخوانًا. المُسلِمُ

(١) متفق عليه، عن علي بن أبي طالب: البخاري، الصحيح، كتاب فرض الخمس، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ... ٤/ ٨٤، رقم: ٣١١٣. مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، ٤/ ٢٠٩١، رقم: ٢٧٢٧.

(٢) الترمذي، السنن، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، ٥/ ٤٦٧، رقم: ٣٣٩٢، عن أبي هريرة، وقال: «حسن صحيح».

(٣) مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ٤/ ٢٢٩٥، رقم: ٢٩٩٩، عن صهيب.

أخو المُسلِم، لا يَظلِمُه ولا يَخذُلُه، ولا يَحقِرُه. التقوى هاهنا»، ويشير إلى صدره ثلاث مرَّات «بِحَسبِ امرئٍ مِنَ الشرِّ أن يَحقِرَ أخاه المُسلِمَ. كُلُّ المُسلِمِ على المُسلِمِ حَرامٌ؛ دَمُه، ومالُه، وعِرضُه»(١).

لقد أكَّد النبيُّ ﷺ قيمةَ الإنسان لذاته، وإن جاءت بلفظ خاصٍّ بيد أُريد بها عمومَ المواطنين، وأُفرد المسلمون بالنصِّ للأغلبيَّة. وفي ذلك حمايةٌ شاملة لحقوق الإنسان الأساسيَّة. يوضِّحه خطابُ السنَّة الإنسانيُّ الذي تجاوزت به حدودَ الانتماء الدِّينيِّ بصريح العبارة، في قوله ﷺ: «في كُلِّ كَبِدٍ رَطبةٍ أجرٌ»(٢)، والمقصودُ بذلك الإحسانُ إلى الحيوان، فكيف بالإنسان؟ وهذه دعوةٌ مفتوحةٌ للتعامل الرحيم مع كلِّ كائنٍ حيٍّ، وهو ما يرسِّخ ثقافةَ الرحمة والاحترام للآخَر.

ومن أبرز القيم التي شدَّدت عليها السنَّةُ النبويَّةُ الوسطيَّةُ والاعتدال، والرضا عن الله والقناعة بما قسمه، في منظومةٍ أخلاقيَّة شاملةٍ، تصلح أساسًا لبناءِ تعايُشٍ سلميٍّ بين الثقافات والشعوب، وتحقيق السِّلم المجتمعيِّ والاحترام المتبادَل.

سأتناول هنا فقط ثلاثَ قيمٍ على الوجه الآتي:

أوَّلًا: تعزيز ثقافة الاعتدال ومعالجة العنف والتطرُّف:

من أبرز التحدِّيات المعاصِرة التي تعاني منها المجتمعاتُ هي ظواهر العنف والتطرُّف، سواءً باسم الدِّين، أو بدوافعَ سياسيَّةٍ، أواقتصاديَّة واجتماعيَّة(٣). وقد وقفت السنَّةُ النبويَّة بحزمٍ أمامَ هذه الظواهر، مقدِّمةً معالمَ واضحةً لنهج الاعتدال والوسطيَّة الذي يمثِّل جوهرَ الإسلام.

لقد حذَّر النبيُّ ﷺ من الغلوِّ في الدِّين، فقال: «إيَّاكُم والغُلُوَّ في الدِّينِ، فإنَّما هَلَكَ مَن كانَ قَبلَكم بالغُلُوِّ في الدِّين»(٤). وهذا تحذيرٌ واضح من الانحراف نحوَ التشدُّد المفضي إلى العنف والقطيعة. كما دعا إلى الرِّفق واللِّين، فقال ﷺ: «إنَّ اللهَ رَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، ويُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعطي على العُنفِ، وما لا يُعطي على ما سِواهُ»(٥). وربَط بين الرِّفق وبين آثاره، فقال ﷺ: «إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلَّا زانَه، ولا يُنزَعُ مِن شَيءٍ إلَّا

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، ١٩٨٦/٤، رقم: ٢٥٦٤، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه، عن أبي هريرة: البخاري، الصحيح، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، ١١/٣، رقم: ٢٣٦٣. مسلم، الصحيح، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، ١٧٦١/٤، رقم: ٢٢٤٤.

(٣) محمد، حجازي، أثر الأوضاع الاقتصادية المتغيرة على ظاهرة العنف- دراسة للعوامل وبعض الجوانب الوقائية (حوليات جامعة الجزائر، مج ٣٥، ع ١، مارس ٢٠٢١، ص-ص ٤١١-٤٢٩)، ص ٤١٤.

(٤) النسائي، السنن، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، ٢٦٨/٥، رقم: ٣٠٥٧، عن ابن عباس، بإسناد صحيح. ومن لطائف تراجم البخاري قوله: «باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع». الصحيح، ٩٧/٩.

(٥) مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ٢٠٠٣/٤، رقم: ٢٥٩٣، عن عائشة.

شانَه»[١].

وقد جسَّد هذه القيمةَ في تعامله مع الخصوم، حتى في أشدِّ المواقف، مثل حادثة الطائف الشهيرة وقد استأذنه ملكُ الجبال أن يُطبِق عليهم الأخشبين، فقال النبيُّ ﷺ: «بل أرجو أن يُخرِج اللهُ مِن أصلابهم مَن يعبد اللهَ وحدَه، لا يُشرِكُ به شيئًا»[٢]، وغيرها كفتح مكَّةَ. فكانت سنَّتُه في العفو والتسامح والتجاوز، هي الأداةَ الحقيقيَّةَ لبناء مجتمع متماسك وسليم.

كما حذَّرت السنَّةُ من تكفير المسلمين واستباحة دمائهم، فقال ﷺ: «أيُّما رَجلٍ قالَ لأخيه: يا كافرُ، فقد باءَ بها أحدُهما»[٣]، وهو سدٌّ لباب الفتنة والاقتتال باسم الدِّين. ورفضت الغلوَّ والتشدُّدَ واختزالَ الدِّين في مظهر أو عبادة أو حُكمٍ، تأسيسًا على قوله عن الخوارج: «يمرقون من الدِّينِ كما يمرقُ السهمُ من الرميَّةِ»[٤].

وفرضت الزكاة وحثَّت على الصدقة والتكافل الاجتماعيِّ، وسوَّت بين الناس في الحقوق والواجبات، وفاضلت بناءً على التقوى والعمل الصالح، لتبديد الطبقيَّة الجامحة في المجتمع المسلم، قال النبيُّ ﷺ: «المسلمونَ تتكافأ دِماؤهم، يسعى بذِمَّتِهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم، وهم يَدٌ على مَن سواهم، يَرُدُّ مُشِدُّهم على مُضعفِهم، ومُتسَرِّيهم على قاعدِهم»[٥].

يتبيَّن أنَّ السنَّة النبويَّة تُمثِّل منظومةً فكريَّةً وأخلاقيَّةً قويَّةً في مكافحة التطرُّف، من خلال ترسيخ فقه الاعتدال والوسطيَّة، ونشر ثقافة الحوار والتسامح، والتحذير من الغلوِّ والتشدُّد والتكفير، وغرس قيم الرحمة والرِّفق والعفو في التعامل مع الآخرين. وبذلك قدَّمت السنَّةُ خطَّ دفاعٍ معرفيٍّ وسلوكيٍّ ضدَّ خطابَ الكراهية، وغذَّت نزعةَ التوازن والاعتدال.

ثانيًا: النوع الاجتماعيُّ (Gender) من منظور السنَّة النبويَّة:

أ- مفهوم الجندرة وأبعاده المعاصرة:

الجندرة (Gender) مصطلَح حديثٌ، يُشير إلى الهُوِيَّة الجندريَّة المكتسبَة اجتماعيًّا، بمعزِلٍ عن الجنس

---

(١) مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ٤/ ٢٠٠٤، رقم: ٢٥٩٤، عن عائشة.

(٢) متفق عليه، عن عائشة: البخاري، الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء: آمين... ٤/ ١١٥، رقم: ٣٢٣١. مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبيُّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ٣/ ١٤٢٠، رقم: ١٧٩٥.

(٣) متفق عليه، عن ابن عمر: البخاري، الصحيح، كتاب ، باب ، ٨/ ٢٦، رقم: ٦١٠٤. مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، ١/ ٧٩، رقم: ٦٠.

(٤) متفق عليه، عن أبي سعيد الخدري: البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٤/ ٢٠٠، رقم: ٣٦١٠. مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٢/ ٧٤١، رقم: ١٠٦٤.

(٥) أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، ٣/ ٨٠-٨١، رقم: ٢٧٥١، عن عبد الله بن عمرو.

البيولوجيِّ. وهي نظريَّةٌ تفترض أنَّ (الذكورةَ) و(الأنوثة) ليستا حقيقتين فطريَّتين، بل بناءٌ اجتماعيٌّ متغيِّرٌ. وقد تطوَّرت هذه النظريَّةُ لتشكِّل تحدِّيًا للثوابت الدينيَّة والقيميَّة والطبيعيَّة، ممَّا أدَّى إلى طروحات، مثل:

أ- الإنكارُ التدريجيُّ للثنائيَّة البيولوجيَّة (ذكر/ أنثى).

أ- المطالَبةُ بحرِّيَّةِ اختيار الهُوِيَّة الجندريَّة.

أ- الترويجُ لتجاربِ (التحوُّل الجنسيِّ) كممارسة مشروعة اجتماعيًّا وأخلاقيًّا.

ب- موقف السنَّة النبويَّة من هذه النظريَّة:

١- الإقرار بالفطرة الثنائيَّة:

أعاد القرآنُ الكريمُ تشكيلَ الهُوِيَّة الإنسانيَّة من منطلق التكريم الربَّاني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، بعيدًا عن الصراعات الجندريَّة. ثمَّ أقرَّت السنَّةُ النبويَّةُ، انسجامًا مع القرآن، أنَّ الخَلقَ مبنيٌّ على فطرةٍ ثنائيَّة (ذكر وأنثى)، بموجب قوله ﷺ: «إنَّما النِّساءُ شَقائقُ الرِّجالِ»[(١)]. وفيه تأكيدُ المساواة في الأصل الإنسانيِّ والتكريم والحقوق، وكذا الأحكام والتكاليف إلَّا ما خُصَّ. لا المساواة في الصفات البيولوجيَّة أو الأدوار الاجتماعيَّة، فلم ينفِ الفوارقَ الطبيعيَّةَ. وبذلك عالجت السنَّةُ الانزياحَ الجندريَّ من خلال توازن الأدوار لا صراعها، وهذا يمنح الهُوِيَّة الجنسيَّة عمقًا سليمًا لا يذوب في أيديولوجيا النِّسويَّة المتطرِّفة.

٢- التحذير من تشويه الهُوِيَّة الجندريَّة:

حذَّرت السنَّة من أيِّ خدش يلحق بهُوِيَّة الجنسين، فنهت عن تشبُّه أحدهما بالآخَر، استنادًا إلى قول ابن عبَّاسٍ: «لعنَ رسولُ الله ﷺ المتشبِّهين من الرجال بالنساء، والمتشبِّهاتِ من النساء بالرجال»[(٢)]، وقال: «لعنَ النبيُّ ﷺ المخنَّثين من الرجال، والمترجِّلاتِ من النساء. وقال: «أخرِجوهم من بيوتكم»[(٣)]. وليُتنبَّه إلى أنَّ هذا الحديثَ ليس خطابَ كراهيةٍ، بل هو تحصينٌ للهُوِيَّة الجسديَّة والنفسيَّة، لأنَّ التشبُّهَ هو بدايةُ التفكُّكِ الهُوِيُّويِّ والنفسيِّ.

٣- الرعاية النبويَّة للتنوُّع الطبيعيِّ داخلَ الفطرة:

لحظت السنَّةُ النبويَّةُ وجودَ طيفٍ فطريٍّ بين الذكورة والأنوثة، مثل: حالات (الخصيان) و(الخناثى)، لكنَّها فرَّقت بين الحالات الخَلقيَّة والأُخرى المكتسَبة، على الوجه الآتي:

مَن وُلِد بخلَلٍ بيولوجيٍّ عُومل باحترامٍ ورعاية.

---

(١) أبو داود، السنن، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه، ١/ ٦١، رقم: ٢٣٦، عن عائشة.

(٢) البخاري، الصحيح، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، ٧/ ١٥٩، رقم: ٥٨٨٥، عن ابن عباس.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب اللباس، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، ٧/ ١٥٩، رقم: ٥٨٨٦، عن عن ابن عباس.

مَنِ أراد تبديلَ جنسِه، أو تمرَّد على فطرته، عُولج تربويًّا واجتماعيًّا.

٤- التوازن بين الأدوار لا الصراع بينها:

دعا النبيُّ ﷺ إلى توزيع الأدوار بين الرجال والنساء، لا محوِ الفوارق بينهما، فقال في وصيَّته بالنساء: «واستَوصوا بالنِّساء خَيرًا، فإنَّهُنَّ خُلِقنَ مِن ضِلعٍ، وإنَّ أعوجَ شَيءٍ في الضلعِ أعلاه، فإن ذَهبتَ تُقيمُه كَسَرتَه، وإن تَرَكتَه لَم يَزَل أعوجَ، فاستَوصوا بالنِّساءِ خيرًا»(١)، وفي توجيهه للرجال قال: «خَيرُكُم خَيرُكُم لأهلِه وأنا خَيرُكُم لأهلي»(٢). فالرؤيةُ النبويَّةُ تُعزِّز التكامُلَ لا التناحُرَ بين الجنسين، وترفض فرضَ نموذجٍ أحاديٍّ على الجميع.

ثالثًا: اضطراب الهُوِيَّة وعدم الرضا عن الجسد:

أ- الواقع المعاصر للمشكلة:

في ظلِّ ثقافة الصورة والمقارنة و(الترند الجديد)، الذي يتيح لمستخدمي الذكاء الاصطناعيِّ إنشاءَ صورٍ فنِّيَّةٍ خاصَّةٍ باستخدام أسلوب (غيبلي)، تنتشر بين الشباب واليافعين حالاتٌ من عدم الرِّضا عن شكل الجسد أو أحد أعضائه، أو الرَّغبة في تغييره بعمليَّاتٍ تجميليَّةٍ جذريَّة، أو رفض الجنس البيولوجيِّ (transgenderism)، أو الشعور باضطراب تبدُّد الشخصيَّة (كأنَّك في الجسد الخطأ)، إلخ. تُصنَّف هذه الحالةُ طبِّيًّا ضمن اضطرابات الهُوِيَّة الجسديَّة (Body Dysmorphic Disorder)، أو اضطراب الهُوِيَّة الجندريَّة (Gender Dysphoria)، ولها جذورٌ نفسيَّةٌ وثقافيَّةٌ واجتماعيَّةٌ.

ب- السنَّة النبويَّة في مواجهة هذه الظاهرة:

ب- تأكيد قُدسيَّة الجسد وحُرمة تغييره:

نهى الشرعُ نهيًا صريحًا عن إجراء أيِّ تغييرٍ دائمٍ للجسد، لأغراضٍ تجميليَّةٍ سطحيَّةٍ، بموجب قول ابن مسعود رضي الله عنه: «لعنَ اللهُ الواشِماتِ والمُستوشِماتِ، والنامِصاتِ والمُتنمِّصاتِ، والمُتفلِّجاتِ للحُسنِ المُغَيِّراتِ خَلقَ اللهِ»(٣).

ب- ربط الرضا عن الجسد بالرضا عن الخالق:

المؤمن يعلم علم اليقين أنَّه مخلوق الله تعالى الخالق المالك المدبِّر، ويؤمن أنَّ صُنعَ اللهِ متقَنٌ، بموجب قوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، وقوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ

---

(١) متفق عليه، عن أبي هريرة: البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، ٧/ ٢٦، رقم: ٥١٨٦. مسلم، الصحيح، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ٢/ ١٠٩١، رقم: ١٤٦٨.

(٢) مضى تخريجه.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن، ٧/ ١٦٤-١٦٥، رقم: ٥٩٣١. مسلم، الصحيح، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة... ٣/ ١٦٧٨، رقم: ٢١٢٥.

اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]. ما يمنحه ثقةً بنفسه ورضًا عن جسده. وكان من دعاء النبيِّ ﷺ، الذي يُربِّي على القَبول الذاتيِّ والتصالح مع الجسد، بوصفه من صنع الله تعالى، ويغرس قيمةَ الرضا كعلاج نفسيٍّ قولُه الشريف: «اللَّهُمَّ، أحسَنتَ خَلقي، فأحسِن خُلُقي»(١).

ب- الموازنة بين العلاج المشروع والتحوُّل المحرَّم:

فرَّق العلماءُ، بناءً على الهدي النبويِّ، بين نوعين من التحوُّل، على الوجه الآتي:

العلاج الجسديُّ لحالَةٍ مرضيَّةٍ حقيقيَّةٍ مثل: الخُنثى، حيث أباحوه ضمن ضوابط شرعيَّةٍ دقيقة. جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء قولهم: «يجب على العبد الإيمانُ بقضاء الله وقدَره خيرِه وشرِّه، حُلوِه ومُرِّه، والرضا والتسليم ممَّا قدَّر اللهُ، والصبر على المكاره. ومنه إذا حصل في خلقته ما يباين صفة الآدميين من تشوُّهٍ أو إعاقة، ومن ذلك أن يولَد المرءُ خنثى. فإنَّ العبد إذا صبر واحتسب آجرَه اللهُ على ذلك، وليتجنَّبِ التسخُّطَ والجزَع، فإنَّه يوهِن الإيمانَ ويجرُّ إلى الآثام.

إذا عُلم ذلك، فإنَّ من يولَد خنثى لا يخلو من حالين:

الحالة الأُولى: الخنثى غير المُشكِل، وهو من كان الغالِب عليه علامات الذكورة، فيعامَل معاملةَ الذكور في أمور عبادته وغيرها، ويجوز علاجُه طِبِّيًّا ممَّا يزيل الاشتباهَ في ذكورته. أو كان الغالب عليه علامات الأنوثة، فيُعلَم أنَّه أُنثى فيُعامَل معاملةَ الإناث في أمور العبادة وغيرها، ويجوز علاجُه طبِّيًّا ممَّا يزيل الاشتباهَ في أنوثته.

الحالة الثانية: الخنثى المُشكِل، وهو: من لم تتبيَّن فيه علاماتُ الذكورة أو الأنوثة عند البلوغ، أو مات وهو صغير، أو تعارضت فيه العلاماتُ، فيُعامَل بالأحوط في أمور العبادة وغيرها(٢).

التحوُّل الجندريُّ بدافعٍ نفسيٍّ، أو هُوِيَّويٍّ غيرِ بيولوجيٍّ، حيث حظروه شرعًا، لأنَّه تمرُّدٌ على الفطرة، وتغيير لخلق الله، وسخط على ما اختاره الله لعباده(٣).

ب- الاهتمام بجوهر الإنسان لا مظهره:

أكَّد النبيُّ ﷺ في منهجه التربويِّ أنَّ القيمةَ الحقيقيَّةَ للإنسان ليست في مظهره الخارجيِّ، بل في جوهره الداخليِّ، فقال: «إنَّ اللهَ لا يَنظرُ إلى صُوَرِكم وأموالِكم، ولكن ينظرُ إلى قُلوبِكم وأعمالِكم»(٤).

هذا البيانُ النبويُّ يشكِّل قاعدةً تربويَّةً وأخلاقيَّةً عظيمةً، تُسهم في تفكيك النزعة السطحيَّة المنتشرة في ثقافات الصورة والمظاهر، وتحرِّر الإنسانَ من وهم (الكمال الخارجيِّ)، وتُربِّيه على التمييز بين القَبول

---

(١) أحمد، المسند، ٦/ ٣٧٣، رقم: ٣٨٢٣، عن ابن مسعود.

(٢) اللجنة الدائمة، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٥ج)، كتاب الجامع- المجموعة الأولى، ١١/ ٢٦٩-٢٧٠، رقم الفتوى: ٢١٠٥٨.

(٣) ينظر: اللجنة الدائمة، المرجع نفسه، ١١/ ٢٦٦-٢٦٧.

(٤) مضى تخريجه.

الاجتماعيِّ المزيَّف، والرضا الإلهيِّ الحقِّ.

كما رسم هذا التوجيهُ النبويُّ معالجةَ جذر الشعور بالنقص أو المقارنة بالغير، لا سيَّما تحت وطأةِ بيئةٍ رقميَّةٍ تُضخِّم المعاييرَ الجماليَّةَ، وتُسهِم في اضطرابات الصورة الذاتيَّة لدى فئات الشباب والفتيات.

من هنا، تُعدُّ السنَّةُ النبويَّةُ خطابًا موازنًا، يُعيد الإنسانَ إلى مركزه القِيميِّ الحقِّ، ويعزِّز مفهومَ الكرامة الذاتيَّة المرتبِطة بالإيمان والعمل الصالح، لا بالهيئة أو الصورة. ومن شأن استحضار السنَّة، بروحها المقاصديَّة والاجتماعيَّة، أن يُعيد تشكيلَ الإنسان المسلم الواعي بذاته ومجتمعه، القادرِ على مقاومة التحدِّيات بروح الإيمان والعمل والبصيرة.

الخاتمة

في ضوء ما جرى عرضُه ومناقشتُه في هذا البحث، أخلص إلى عرض أهمِّ النتائج وأبرز التوصيات، مشفوعةً بمقترحات علميَّة، على الوجه الآتي:

أوَّلًا: أهمُّ النتائج:

١- السنَّة النبويَّة منظومةُ علاجٍ مجتمعيٍّ شاملٍ، قادرةٌ على إعادة تشكيل الوعي، وترميم الهُوِيَّة، وتقوية المناعة النفسيَّة، وحماية العَلاقات الاجتماعيَّة. والعودة إلى تعاليمها تسهم في بناء مجتمع متماسك فاهم لما يجري حوله، مدرك لمخاطر التحدِّيات المحدقة بأُمَّته، ومستشعر لأبعادها ومخاوفها على الأجيال الصاعدة.

٢- إنَّ تحدِّياتِ العصر تستدعي استحضارَ السنَّة بروحها ومقاصدها، وقراءتها كمنهج حضاريٍّ، توفِّر بتوجيهاتها الاجتماعيَّة حلولًا للمشكلات التي تواجه المجتمعاتِ المعاصرةَ، خاصَّةً في موضوع العَلاقات الإنسانيَّة، والنزاعاتِ الفكريَّة، وصدام الأهداف، والتشكيكِ في المبادئ الأخلاقيَّة.

٣- عالجت السنَّةُ الانزياحَ الجندريَّ من خلال توازن الأدوار، ومنحت الهُوِيَّةَ الجنسيَّةَ عمقًا سليمًا لا يذوب في أيديولوجيا النِّسويَّة المتطرِّفة، كما حذَّرت من أيِّ خدش يلحق بهُوِيَّة الجنسين. وأكَّدت أيضًا قدسيَّة الجسد وحرمةَ التحويل الجنسيِّ، وواجهت الشعورَ باضطراب تبدُّد الشخصيَّة، وربطت الرِّضا عن الجسد بالرِّضا عن الخالق.

٤- تحمل السنَّةُ منهجًا تربويًّا ينسجم مع الفطرة، ويعترف بالتنوُّع الثقافيِّ، دون التفريط بالثوابت.

ثانيًا: أبرز التوصيات:

يوصي البحث بتفعيل السنَّة النبويَّة لمواجهة التحدِّيات وفق الآليَّةِ الآتية:

١- تفعيلُ الاجتهاد المقاصديِّ في فهم السنَّة وإعادة تأويل نصوصها بروحِ مقاصدِها لا بالجمود على ألفاظها. وتعزيز الحوار بين الخطاب الدينيِّ والمنظومات النفسيَّة والاجتماعيَّة المعاصرة بما يبرز تكاملَ السنَّة مع مقاصد الصحَّة النفسيَّة والاجتماعيَّة.

٢- دمجُ تعاليم السنَّة النبويَّة في المناهج التعليميَّة والبرامج النفسيَّة الحديثة عبر التعاون بين علماء النفس

والشريعة، لتعميم الوعي الاجتماعيِّ والنفسيِّ بين الأجيال الشابَّة.

٣- نقدُ الخطاب الإعلاميِّ الذي يروِّج لرفض الجسد الطبيعيِّ والتمرُّدِ على الفطرة، وبناءُ خطابٍ إعلاميٍّ- شرعيٍّ موازٍ يُقدِّم النموذجَ النبويَّ بلغة العصر لا بلغة الوعظ التقليديِّ.

٤- إنشاءُ وحداتِ إرشادٍ اجتماعيٍّ- نبويٍّ في المدارس والجامعات والسجون والمراكز الإصلاحيَّة. وبناءُ منصَّاتٍ تفاعُليَّةٍ شبابيَّة تعرِّف بالقيم النبويَّة بلغةٍ معاصرةٍ تراعي الوسائطَ الرقميَّة وتأثيراتِها.

٥- تعميمُ التوجيه النفسيِّ، وبثُّ الوقاية التربويَّة، وتنشيطُ الهُوِيَّة الفطريَّة، من سِنٍّ مبكِّرة، إلى جانب تقديم الدعم العاطفيِّ للمراهقين واليافعين، ومرافقتِهم في تشكُّل شخصيَّتِهم.

٦- التكامل مع الطِّبِّ النفسيِّ المعاصر لفهم حالات التشوُّه الهُوِيَّويِّ، دون تجريم المريض أو شرعنة الخلل. ودعمُ مشاريعَ بحثيَّةٍ متعدِّدةِ التخصُّصات لدراسة السنَّة النبويَّة في سياق تحدِّيات الجندر والهُوِيَّة.

ثالثًا: مقترحات علميَّة:

انطلاقًا من مضمون البحث وتفريعاته، أقترح دراسة القضايا الآتية:

١- آليات بناء الوعي الفطريِّ من خلال السنَّة النبويَّة، يربط فيها الباحث بين فطريَّة القيم النبويَّة وبين ما تؤكِّده العلومُ النفسيَّة الحديثة حول احتياجات الإنسان الفطريَّة.

٢- الهندسة النبويَّة لبناء الوعي الاجتماعيِّ- دراسة سوسيولوجيَّة حديثة، يحلِّل فيها الباحثُ الأدوارَ الاجتماعيَّة التي مارسها النبيُّ ﷺ في ضبط العَلاقات الاجتماعيَّة وترسيخ المسؤوليَّة الجماعيَّة.

٣- منهجيَّات التعليم القيميِّ المستلهمة من السنَّة النبويَّة في المؤسَّسات التربويَّة، يدرس فيها الباحثُ إمكانيَّةَ بناء مناهجَ تعليميَّة قيميَّة وَفق السنَّة النبويَّة، لتوفير وعي الجيل الجديد بالمسؤوليَّة الاجتماعيَّة.

فهرس المصادر والمراجع

٣- المصادر والمراجع الورقية:

١- ابن الأثير الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٥ج.

٢- أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ):

أ- الزهد. وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

ب- مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٤٥ج.

٣- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٩ج.

٤- بخدة، براشد. أزمة الهوية في الوطن العربي. مجلة أبعاد، مج ١١، ع ١، ٤ آب ٢٠٢٤، ص-ص ٩٣-١٠٤.

٥- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ). سنن الترمذي. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ورفيقيه، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ٥ج.

٦- الجمل، علي أحمد. القيم ومناهج التاريخ الإسلامي- دراسة تربوية. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٢م.

٧- خزعل، عبد النبي. السجالات السياسية في برامج الحوار السياسي في الفضائيات العراقية وانعكاساتها على المجتمع. مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية، ع ٢، ٢٠٢٣، ص-ص ٧٠-٩٤.

٨- أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ). سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، ٤ج.

٩- الصدر، محمد باقر (ت١٤٠٠هـ). فلسفتنا. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٠- عبد اللطيف، أحمد عبد الرحمن- شموط، أسامة- حسان، حسان محمد، كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي- الأصول والمبادئ. جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١١- عبد المعطي، عبد الباسط. اتجاهات نظرية في علم الاجتماع. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ع ٤٤، ١٩٨١م.

١٢- عقل، محمود عطا محمود حسين. القيم السلوكية لدى طلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج- دراسة نظرية وميدانية. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٣- أبو العينين، علي خليل مصطفى:

١٣- الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام. ضمن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، جدة: دار الوسيلة، ط٤، ١٢ج.

١٣- القيم الإسلامية والتربية- دراسة في طبيعة القيم ومصادرها الشاملة. المدينة المنورة: مكتبة إبراهيم الحلبي، ط١، ١٩٨٨م.

١٤- اللجنة الدائمة، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٥ج.

١٥- ابن ماجه القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت٢٧٣هـ). سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ٢ج.

١٦- محمد، حجازي. أثر الأوضاع الاقتصادية المتغيرة على ظاهرة العنف- دراسة للعوامل وبعض الجوانب

الوقائية. حوليات جامعة الجزائر، مج **٣٥**، ع **١**، مارس **٢٠٢١**، ص-ص **٤١١-٤٢٩**.

١٧- مسلم بن الحجاج أبو الحسين (ت**٢٦١**هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، **٥**ج.

١٨- مصطفى، شربال- أ.د. الطاهر، بلعيور. «الوعي الاجتماعي- المفاهيم والاختلاف بين علم النفس وعلم الاجتماع». مجلة أبحاث نفسية وتربوية، مج **٩**، ع **٣**، (جوان **٢٠١٨**م): ص-ص **٩٥-١١٧**.

١٩- المعوشرجي، فوزي محمد سعد الرجعان، «تأثير تكنولوجيا المعلومات على تشكيل الوعي الاجتماعي عند الشباب الكويتي- تحليل سوسيولوجي». حوليات آداب عين شمس، مج **٤٢**، (أكتوبر- ديسمبر، **٢٠١٤**م): ص-ص **٨١-٩٦**.

٢٠- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت**٣٠٣**هـ). المجتبى من السنن. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط**٢**، **١٤٠٦**هـ/**١٩٨٦**م، **٩**ج.

٢١- نورهان، منير حسين، القيم الاجتماعية والشباب. الإسكندرية: دار الفتح، **٢٠٠٨**م.

٢١- المراجع الإلكترونية:

٢١- الاضطراب الاكتئابي (الاكتئاب)، **٣١** آذار/ مارس **٢٠٢٣**:

https://n9.cl/7y5uo.

٢١- تضارب بين مصطفى علوش وفايز شكر في برنامج بموضوعية:

https://n9.cl/9fmw9.

٢١- جناحي، نجوى عبد اللطيف، برامج حوارية أم مصارعة ديوك؟ **١٢** أيار **٢٠١٨**:

https://n9.cl/fcotw.

٢١- الحق في الخصوصية في العصر الرقمي، **١** تشرين الثاني/ نوفمبر **٢٠١٣**:

https://n9.cl/01zn03.

٢١- خطاب الكراهية ضد الأقليات في العراق في وسائل التواصل الاجتماعي، **١٥** أيار/ ماي **٢٠٢٣**:

https://n9.cl/xs1fv.

٢١- شهد استديو «صار الوقت» عراكاً بأيدي بين رئيس حزب التوحيد العربي وئام وهاب والصحافي سيمون أبو فاضل:

https://n9.cl/rtgdx.

٢١- عرض وقائع الإشكال خلال عرض الحلقة الأولى من برنامج «بالمباشر» الذي قدمه الإعلامي رواد ضاهر على أوتيفي، بين رئيس جمعية اقرأ بلال دقماق والعضو السابق في مجلس الشعب السوري أحمد شلاش على خلفية مقاربة الملف السوري: https://n9.cl/xxoaw.